

الأحوال الاجتماعية في منطقة الفرات الأوسط الرحالة الأجانب

(١٨٣١-١٩١٤)

المؤلفة سهير عباس كاظم الزبيدي

الخلاصة:-

- توجهت الدعوات في السنوات السابقة الى تجاوز الموضوعات التي ركزت اهتمامها على ابراز الجوانب السياسة لمنطقة محددة ،سواء من ناحية ابراز الوضع السياسي او نظام الحكم او الاحزاب السياسية الحاكمة في تلك المنطقة ،الى ضرورة الاهتمام بابراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،والتي هي في الواقع الامر نتاجا طبيعيا للواقع السياسي لتلك المنطقة ،من هنا جاء الاهتمام بدراسة الاحوال الاجتماعية لمنطقة الفرات الاوسط ،ولكن من خلال كتب الرحالة الاجانب الذين زاروا المنطقة للحقبة من (١٨٣١ - ١٩١٤م) وذلك لاسباب متعددة يقف في مقدمتها اهمية هذه الحقبة التاريخية التي تمثل بداية النهاية في عهد الدولة العثمانية التي بدأ الضعف يدب في كيانها السياسي فصارت تخسر ولاياتها واحدة تلو الاخرى حتى اطلق عليها في نهاية المطاف (الرجل المريض) ، الامر الاخر يتعلق بالرحالة الاجانب انفسهم ،فهذه الحقبة شهدت تدفقا واضحا باعداد الرحالة ،ومن مختلف الجنسيات ،وتعدد اغراض زيارتهم للمناطق العربية ومنها العراق ،فهناك اغراض سياسية ودينية وأثرية .

يضاف لاسباب السابقة ،رغبتني في دراسة الاحوال الاجتماعية لمنطقة الفرات الاوسط في هذه الحقبة التاريخية للوقوف على الجذور التاريخية

للعادات والتقاليد الاجتماعية الحالية فضلا عن ناحية اخرى تتعلق بان الرحالة الاجانب نقلوا لنا آراءهم بالاحوال الاجتماعية في مدن الفرات الاوسط ،وفي بعضا منها جاء بصورة مغايرة للواقع ،لذلك وجدت من الضروري التعليق على هذه الآراء الخاطئة وابرار الجانب الصحيح منها .

حظي موضوع دراسة الأحوال الاجتماعية في جميع مدن العراق باهتمام واضح من قبل المؤرخين والباحثين خاصة في السنوات الأخيرة التي توجهت لدراسة مثل هذه المواضيع ،فظهرت دراسات أكاديمية عديدة في هذا الجانب ،لكنها لم تنقل لنا آراء الرحالة الأجانب بالأحوال الاجتماعية ،وخاصة بمنطقة الفرات الأوسط ،وهذا ما شكل لي دافعا إضافيا إلى الكتابة في مثل هذا الموضوع مع ما يحمله من صعوبات عديدة تتعلق بقلّة المصادر التي توفر معلومات كافية عن الجوانب الاجتماعية بشكل خاص ،لذلك شكلت كتب الرحالة الأجانب مصدرا أساسياً ومهما في هذه الدراسة لما حوته من معلومات قيمة لكن البعض من هذه الكتب كانت تعاني النقص الواضح فيما يتعلق بالمناطق الجنوبية للفرات الأوسط والتحدث عن أحوالهم الاجتماعية والسبب يعود في ذلك الى احتمال ان هذه المناطق كانت تعاني من الحركات العشائرية التي تواجه الدولة العثمانية مما أدى إلى عدم احتكاك الرحالة بهذه المناطق والمصادر الاجتماعية الأخرى والبعض منها لم يتناول الجوانب الاجتماعية بشكل مفصل في هذه المناطق وذلك يعود إلى السبب نفسه واحتمال ان هذه المناطق كانت تعاني الفقر والجوع زمن الدولة العثمانية مما أدى إلى عدم ظهور معالم الحياة الاجتماعية .

أما الوثائق الغير منشورة ،والمحفوظة في مكتبة أمير المؤمنين (ع) في النجف ،ومكتبة ال سعيدة فقد زودتنا بمعلومات قيمة ومهمة وأكدت لنا صحة بعض الروايات التي وردت في كتب الرحالة الأجانب .

اعتمدت الرسالة على عدد غير قليل من المصادر العربية والمحلية منها بشكل خاص والتي نقلت لنا جوانب من الحياة الاجتماعية لمدن الفرات الاوسط فجاءت معلوماتها مكملة لما ورد في كتب الرحالة الاجانب ونخص بالذكر كتاب عبد الرزاق الحسني (العراق قديما وحديثا) ،وكتاب عبد الجبار فارس (عامان في الفرات الاوسط) ، وكتاب عزيز الشيخ جفات ،مدن عراقية على ضفاف الفرات.و المصادر المعربة منها (ا.ج سوانس كوبر ، رحلة إلى البلاد العربية الخاضعة لحكم الأتراك ،وماكس فون اوبنهايم ، رحلة إلى ديار شمر وبلاد الجزيرة ،و اينهولت الهولندي ، رحلة اينهولت إلى العراق سنة ١٨٦٦-١٨٦٧ ، و الواموسيل ،الفرات الأوسط رحلة وصفية ودراسات تاريخية، وجيمس بكنغهام ، رحلتي إلى العراق ١٨١٦) وغيرها من الكتب المهمة التي وردت تباعا في فصول الرسالة .

ولمعالجة النقص الواضح في بعض الجوانب وخاصة في موضوع العادات الاجتماعية والمزارات الدينية فقد اعتمدت على عدد كبير من الدوريات التي ملئت بمعلوماتها الغنية هذا النقص ، ونخص منها مجلتي

سومر والمورد اللتان تصدران في العراق والتي ضمت بحوث قيمة لباحثين أكفاء وضمت بين طياتها معلومات مهمة ونادرة قلما نجد مثلها في الكتب .

فضلا عن المصادر السابقة ، فقد اعتمدت الرسالة على بعض الاطاريح الجامعية المهمة ونخص بالذكر رسالة (اثر البعثات الغربية في التنقيب عن آثار العراق حتى عام ١٩٣٩) للباحثة ميساء لؤي عبد الله السامرائي . التي قدمت معلومات مهمة عن ابرز الرحالة الذين زاروا العراق .

اعتمدت الرسالة على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة التاريخية وتحليلها بمقدمة وأربعة فصول وخاتمة وقائمة مصادر وملاحق . يعد الفصل الأول بمثابة فصل تمهيدي، اعطى صورة تاريخية عن المنطقة من ناحية التسمية والموقع الجغرافي . وكذلك تناول أهداف زيارة الرحالة لمنطقة الفرات الأوسط مع استعراض لأبرز هؤلاء الرحالة .

والفصل الثاني (العمارة في الفرات الاوسط) فقد جاء في ثلاث مباحث ،تناول الاول نماذج معمارية لطرز البناء (الخانات ،البيوت ،الاسواق) واعطاء وصف لهذه الطرز في الريف في الريف والمدينة واستعراض اهم البضائع المعروضة في الاسواق، أما المبحث الثاني فقد تناول شوارع مدن الفرات الاوسط وطرق المواصلات سواء البرية أم النهرية مع إعطاء صورة واضحة لابرز وسائل النقل المستخدمة في تلك الحقبة ،وجاء المبحث الثالث

بعنوان الاثار والاسوار في مدن الفرات الاوسط الذي يسלט الضوء على ابرز المعالم الاثارية التي تضمها المنطقة .

آما الفصل الثالث (النظام الاجتماعي في مدن الفرات الاوسط) والذي تضمن ثلاث مباحث، تناول الاول الاسرة (الزواج ،ومراسيم الزواج ،ودور الرجل في الاسرة والمرأة ودورها في الاسرة ،ومناسبات الحزن والموت الفرات لدى سكان الفرات الاوسط) أما المبحث الثاني فقد تناول الملابس من حيث ملابس الرجل في المدينة وملابس رجال الدين ،وملابس الرجل البدوي او العشائري ،والعباءة الرجالية وملابس المرأة في المدينة وملابس المرأة البدوية ،وجاء المبحث الثالث بعنوان العادات (العادات الغذائية في المدينة والعادات الغذائية لدى البدو والريف)،والعادات الاجتماعية والتي سلطت الضوء على ابرز العادات الاجتماعية في شهر رمضان وعادات اجتماعية (متفرقة) .

وجاء الفصل الرابع (المراقد الدينية ومراسيم زيارتها) والذي تضمن على مبحثين ،تناول المبحث الأول ، المزارات والمراقد في الفرات الأوسط ،وتناول المبحث الثاني مراسيم زيارة العتبات المقدسة (والشعائر والممارسات الدينية ،والدفن قرب المراقد المقدسة والهدايا) .

فضلا عن الفصول الأربعة فقد ضمت الرسالة خاتمة استعرضت فيها ابرز النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذه الرسالة ،وقائمة بالمصادر التي اعتمدت عليها واحتوت الرسالة عددا من الملاحق .

الأحوال الاجتماعية في منطقة الفرات الأوسط الرحالة الأجانب (١٨٣١-١٩١٤)